العوامل المؤثرة سلبا على الجانب التجاري والمالي في الحجاز خلال العصر الايوبي (مكة المكرمة والمدينة المنورة انموذجا)

Negative Factors Affecting the Commercial and Financial Aspects in the Hejaz During the Ayyubid Era (Mecca and Medina as a Model)

أ.م.د. هالة عبد الكريم عبود السامرائي

Asst. Prof. Dr. Hala Abdul Karim Aboud Al-Samarrai

جامعة سامراء/ كلية التربية

University of Samarra/ College of Education

E-mail: hala67@uosamarra.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الحجاز، التجارة، مكة المكرمة، الحجاج، العصر الايوبي

Keywords: Hejaz, trade, Mecca, pilgrims, Ayyubid era

الملخص

تمثل التجارة العصب المالي الرئيس الذي يعيش منه الحجازيون قبل الاسلام وبعده وذلك لأهمية الحجاز الدينية لدى المسلمين حيث وجود مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فضلا عن موقع الحجاز التجاري المطل على البحر الاحمر وامتلاكه الموانئ التي تستقبل السفن التجارية المحملة بالبضائع المحلية والعالمية كما تستقبل حجاج بيت الله الحرام في موسم الحج والعمرة ،لذلك سعى سلاطين الدولة الايوبية لضم الحجاز الى نفوذهم من أجل حماية الحرمين الشريفين من أي اعتداء قد يطرأ عليهما أو على حجاج بيت الله الحرام ، فضلا عن تقوية الدولة الايوبية لنفوذها التجاري وهو السيطرة على البحر الاحمر من شماله الى جنوبه .

وقد تعرضت مكة المكرمة والمدينة المنورة للعديد من الاحداث السياسية والعسكرية خلال العصر الايوبي وحدوث القتال على أراضيها ، فضلا عن العوامل الطبيعية حيث السيول والامطار أو حالات القحط وانتشار الاوبئة والامراض ،أو فرض أنواع معينة من الضرائب والرسوم التي أثقلت في ذلك الزمن كاهل الحجاج والتجار فضلا عن سوء استحصالها من قبل جباتها ، بالتالي فقد كان لهذه العوامل تأثير سلبي بشكل أو بآخر على حركة التجارة ونشاطها في الحجاز.

Abstract

Trade represented the main financial lifeline for the people of the Hejaz both before and after Islam, due to the region's religious significance for Muslims, as it is home to Mecca and Medina. Additionally, the Hejaz occupied a key commercial position overlooking the Red Sea and possessed ports that received commercial ships loaded with local and international goods, as well as pilgrims coming for Hajj and Umrah. For these reasons, the sultans of the Ayyubid dynasty sought to bring the Hejaz under their control in order to protect the Two Holy Mosques from any potential aggression, whether against the holy sites themselves or the pilgrims. Moreover, they aimed to strengthen the Ayyubid state's commercial influence by controlling the Red Sea from its northern to southern ends.

Mecca and Medina experienced numerous political and military events during the Ayyubid era, including armed conflicts on their lands. They were also affected by natural factors such as floods, rains, droughts, and the spread of epidemics and diseases. In addition, certain types of taxes and fees were imposed, which burdened pilgrims and merchants at the time—made worse by the poor methods of collection by tax agents. Consequently, these factors had a negative impact, in one way or another, on trade activity and movement in the Hejaz.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ...

الحجاز بلد كريم زاده الله تعالى تشـــريفا وتعظيما بأن جعل في أرضـــه مكة المكرمة والمدينة المنورة مقصد الحجاج المسلمين اليهما كل عام من كل بقاع الارض لأداء مناسك الحج والعمرة ، وقد حظيت التجارة في الحجاز بمكانة متميزة وذلك لأهمية الحجاز الدينية ، وموقعه التجاري المطل على البحر الاحمر لذلك سعى سلاطين الدولة الأيوبية الى بسط نفوذهم على الحجاز لحماية مقدساته ،فضلا عن تقوية نفوذ الدولة الأيوبية التجاري عبر البحر الاحمر من شماله الى جنوبه ، وقد تعرضت مكة المكرمة والمدينة المنورة للعديد من التوترات السياسية والعسكرية المتوالية عليهما خلال العصر الايوبي ،فضلا عن العوامل الطبيعية المتقلبة من سيول وجفاف وقحط وانتشار الاوبئة والامراض ،أو فرض أنواع معينة من الضرائب والرسوم التي أثقلت كاهل الحجاج والتجار فضلا عن سوء استحصالها من قبل جباتها ، بالتالي فإن لكل هذه العوامل تأثير سلبي على الحياة التجارية والمالية ونشاطها في الحجاز.

وقد تم تقسيم البحث حسب أهميته الى مبحثين ، الاول بعنوان : العامل السياسي والعسكري وما حصل من قتال على أراضي مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وثانيا: العوامل الطبيعية من سيول وقحط وأوبئة كان لها تأثير سلبي على النشاط التجاري في الحجاز، أما المبحث الثاني : فكان عن الضرائب والمكوس التي تعد من الموارد المالية الهامة للحجاز .

المبحث الاول

تعرضت مدن الحجاز للعديد من الأحداث العسكرية والتوترات السياسية وحصول القتال على أراضيه خلال العصر الأيوبي فضلاً عن العوامل الطبيعية حيث السيول والأمطار أو حالات القحط وحصول الأوبئة والأمراض فإن كل هذه العوامل بالتأكيد سوف تؤثر سلباً على النشاط المالي والتجاري فيه.

اولاً: العامل السياسي والعسكري

كان للعامل السياسي والعسكري تأثير سلبي على الجانب التجاري لمدن الحجاز أخطرها كان المحاولة الصليبية التي تجرأ للقيام بها أحد الأمراء الصليبيين ويدعى في المصادر العربية باسم(إرناط) (العماد الاصفهاني،١٩٧٩م،ص٢١٣) واسمه في المصادر الأجنبية (ريجنالد دي شاتيون)(بروكلمان،١٩٨١م،ص٣٥٦) وهو صاحب إمارة الكرك[١]بحملة ضد المسلمين هدفها

(١) الكرك: حصن مشهور وهو أحد المعاقل والقلاع الشديدة الحصانة ، إذ يقع على جبل شاهق الارتفاع في أطراف بلاد الشام، ويأتي أهميته من موقعه الذي يربط بين مصر وبلاد الشام والحجاز.(ياقوت

غزو مكة المكرمة والمدينة المنورة وضرب المسلمين في مقدساتهم، وبسط سيادة الصليبيين على البحر الأحمر وضرب التجارة الحجازية وتحويلها الى الموانئ الصليبية في خليج العقبة وذلك في عام (٥٧٧هـ/ ١١٨١م) عندما جمع عساكره للمسير إلى تيماء[٢] والتوجه إلى المدينة المنورة للاستيلاء عليها لكنه لم يفلح في ذلك لأن العسكر الدمشقي بقيادة ابن أخ السلطان صلاح الدين الأيوبي وهو عز الدين فرخشاه قد هاجم حصن الكرك بالعسكر الدمشقي فاضطر إرناط الى الرجوع لحماية إمارته(ابن الاثير،١٩٧٩م،ج١٠/ص١٠٥).

وفي سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) فكر إرناط في معاودة الكرة للهجوم على مكة والمدينة لكن عبر البحر الأحمر (القلزم) فقام ببناء خمس سفن كبرى للنقل ومراكب خفيفة وسريعة أخرى حملت أجزائها على ظهور الجمال الى شواطئ البحر الأحمر وعند وصولها جمعت الأجزاء وشحنت بالذخائر ، والمؤن، والرجال ، وانطلق إرناط وجنوده في حملتهم الصليبية بالاستيلاء على جزيرة القلعة أو ما تسمى جزيرة فرعون التي تقع في خليج العقبة على ساحل البحر الاحمر و منعوا الماء عن أهلها(ابن واصل،١٩٥٧م ،ج٢/ ص١٠١) ثم سارت بقية السفن نحو عيذاب فعمدوا إلى قتل وأسر كثيراً من المسلمين، كما أخذوا مركباً كان بعيذاب يأتي بالحجاج من جدة ، وأسروا قافلة كبيرة من الحجاج الذين كانوا متواجدين بين قوص[٣] وعيذاب ثم قتلوا الجميع، وأحرقوا في البحر الاحمر ما يقارب ستة عشر مركباً، وأخذوا مركبين محملين ببضائع اليمن ، كما أخذوا أطعمة كثيرة من الساحل كانت معدة لميرة الحرمين الشريفين(المقريزي،١٩٩٧،ج١/ص٧٩) وكان يعمل بطريقة القراصنة اذ وصفه أحد المؤرخين الغربين بقوله: (إن الأفّاق لم يتردد في تحويل فرسانه الى قراصنة، وحملهم على مهاجمة السفن الإسلامية الماخرة عباب البحر الأحمر معرقلين تجارتها ، قاطعين طريق الحج بين أفريقية وآسيا)(البيرشاندرو،٢٠٠٨م،ص١٦٤)، كل خطوات الهجوم التي قام بها إرناط وجنوده من قتل وحرق ونهب كان هدفها قطع الطريق عن أي إمدادات قد تصل الى المسلمين في وقت الحملة لذلك لم يتوجهوا مباشرة للإغارة على الحجاز بل أمنوا لأنفسهم الطريق كي تسير حملتهم بنجاح ودون عائق.

الحموي،١٩٧٥م،ج٤/ ص٤٥٣) .

(٢) تيماء: واحة تقع في منتصف الطريق بين بلاد الشام والمدينة المنورة وهي على طريق الحج الشامي. (ياقوت الحموي، ١٩٧٥م،ج٢/ ص٦٧).

(٣) قوص: مدينة كبيرة في صعيد مصر، وهي محط التجار القادمين من عدن.(ياقوت الحموي، ١٩٧٥م ، ج٤/ ص٤١٣).

ثم اتجه الصـليبيين الى سـواحل الحجاز وهي هدفهم فأغاروا عليها ويذكر (ابن واصـل) بأنه قد عظم البلاء على اهل المدينة المنورة وأعضل الداء (١٩٥٧م،ج٢/ص١٢٧) وأشرفوا على خطر كبير اذ لم يكن بين الصـليبيين وبين دخول المدينة المنورة اكثر من مسيرة يوم واحد(العماد الأصفهاني، ١٩٧٩م،ص٢٠٧؛ ابن جبير، د.ت، ص٣٥).

ولما وصـلت الأخبار إلى السـلطان صـلاح الدين بالهجوم الصـليبي أصـدر على الفور أوامره إلى أخيه العادل الأيوبي بالإسـراع إلى ارسـال قوة عسـكرية لصـد العدوان الصـليبي عن الحرمين الشـريفين ، فأمر العادل بأن تفكك على الفور السـفن المائتان المتواجدة لحماية مداخل ميناء دمياط وتنقل براً إلى البحر الأحمر اذ تم إعادة تركيب اجزائها وشـحنها بالسـلاح ورجال بحارة شديدي البأس والشجاعة بقيادة حسام الدين لؤلؤ قائد الأساطيل بالديار المصرية الذي توجه لضـرب اسـطول الإفرنج الذي كان يحاصـر أيلة فمزقه شـر ممزق(العماد الأصـفهاني،١٩٧٩م ،ص٢١٣) ، بعدها توجه الاسطول الأيوبي الى عيذاب فلم يجد الإفرنج فعاد إلى رابغ[٤] فوجدهم بسـاحل الحوراء[٥] فأوقع بهم واطلق الأسـرى من التجار وردّ عليهم أموالهم ومتاعهم، ثم لاحق المنهزمين من الإفرنج في البر وحاصرهم في شعب لا ماء فيه وتمكن من أسرهم جميعاً، وأخذهم حسام الدين إلى مكة المكرمة وكان موسم الحج فاقتاد اثنين منهم الى منى لينحروا بها كما ينحر الهدي جزاء تجرئهم على حرم الله وحرم رسـوله (ﷺ) وعاد بالباقين إلى مصـر، الذين أمر بهم صـلاح الـدين الأيوبي بضـرب أعنـاق الأسـرى جميعهم ولا يبقى منهم أحـداً (ابن واصـل،١٩٥٧م،ج٢/ ص١٢٨) لفعلتهم الشـنعاء وحتى يكونوا عبرة لغيرهم من الصـليبيين كي لا يجرأ أحد منهم بعد ذلك على الاعتداء ومهاجمة الحرمين الشـريفين، فاسـتطاع الأيوبيون حماية الحجاز بإعطائهم درسـاً لا ينسـى للصـليبيين، وحماية أمن البحر الأحمر وتجارة المسـلمين فيه دون غيرهم .

ومن التوترات السـياسـية والعسـكرية ما حدث في ذي الحجة سـنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) عندما وصـل إلى مكة المكرمة أمير الحاج العراقي طاشـتكين لعزل أمير مكة مكثر بن عيسـى الحسـني، فكان أمير الحاج مدعوماً بعسـكر كثير وعدد من المنجنيقات والنفاطين فجرى بينهما قتال شـديد وقُتل من الفريقين جماعة (ابن الجوزي،١٩٩٢م،ج١٠/ص٢٦٠)، وهذه الحادثة قد أثرت على الوضـع الأمني وأحدثت فوضـى كبيرة أثرت على حياة الناس في مكة المكرمة إذ تجرأ

(٤) رابغ: واد يقطعه حجاج بيت الله الحرام يقع بين المدينة والجحفة. (البكري، ١٩٤٥م، ج٢/ ص٦٢٥).

(٥) الحوراء: كورة بمصر في آخر حدودها من جهة الحجاز شرقي البحر الأحمر، وذكر أن الحوراء مرفأ السفن من البحر الى المدينة المنورة. (ياقوت الحموي، ١٩٧٥م، ج٢/ ص٣١٦).

قوم لا أخلاق لديهم من الحاج بالقيام بأعمال النهب من أموال التجار وحرق الكثير من الدور التي على اطراف مكة ، (الفاسي، د.ت، ج٢/ص٢٣٠-٢٣١) .

وقام مكثر الحسني في نفس السنة بالانتقام من خلعه، إذ نهب كثير من الحجاج بمكة وأخذ أموال التجار المقيمين بها، وأحرق عدد من الدور السكنية(الفاسي، ١٩٨٦م،ج٧/ص٢٧٤)، لذلك فقد استدعى هذا الأمر إلى تدخل سيف الاسلام طغتكين الأيوبي الذي توجه إلى مكة سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) وكذلك سنة(٥٨١هـ/١١٨٥م) وإصلاح الأمور في الحجاز وتثبيت سلطة الأيوبيين فيها(الجزيري، ٢٠٠٢م ،ج١/ ص٣٦١) .

وفي سنة(٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) حارب قتادة بن إدريس الحسني أمير مكة المكرمة لأمير المدينة المنورة سالم بن قاسم الحسيني من أجل إخضاعه لإمرته ومع كل منهما جمع كثير فاقتتلوا قتالاً شديداً بالقرب من المدينة المنورة ثم حاصر قتادة المدينة لكنه هزم ورجع قافلاً الى مكة التي حاصرها سالم لكن الأخير رفع الحصار وعاد إلى المدنية المنورة (الفاسي،١٩٨٦م، ج٥/ ص٤٦٤)، كما حصلت فتنة عظيمة سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م) في مكة المكرمة وجرى على أثرها قتل ونهب فاحش في الحجاج العراقيين، حتى قيل إنه أخذ من المال والمتاع وغيره الشيء الكثير(الفاسي، ٢٠١٣م، ج٢/ ص٣١٥)، وفي سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) فرض أمير المدينة المنورة قاسم بن جماز الحسيني حصاراً على مكة المكرمة استمر شهرا كاملا، لكن الأمير قاسم قتل أثناء الحصار فعادت قواته إلى المدينة (المقريزي،١٩٩٧م،ج١/ص٢١٩).

وفي سنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣١م) داهمت قوات من اليمن بقيادة نور الدين بن رسول مكة المكرمة ، ثم جهز الملك الصالح نجم الدين الأيوبي جيشاً إلى مكة قوامه ألف فارس يترأسهم الشريف شيحة أمير المدينة وذلك في سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) فهرب عسكر المنصور منها ودخلها شيحة ونهبها ولم يقتل أحداً (الخزرجي، ١٩٩١م، ج١/ ص٣٧٣).

ورغم الحملات العسكرية المتعددة بين الأيوبيين وبين بني رسول للسيطرة على الحجاز استمرت الحرب سجالاً بينهم من سنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣١م) إلى سنة(٦٣٩هـ/ ١٢٤١م)، وكان النصر النهائي لبني رسول ودخولهم مكة معلنين نهاية النفوذ الأيوبي فيها (الفاسي، ١٩٨٦م،ج٦/ ص٣٤٧؛ عمر بن فهد، ١٩٨٣م،ج٣/ ص٥٨).

بالتالي فإن لهذه المعارك العسكرية المتوالية على مكة المكرمة والمدينة المنورة وما حولهما تأثيرها السلبي على السكان القادمين اليهما من الحجاج والتجار والمقيمين بهما بعد أن أصبحت مدنهم ساحات قتال مستمرة والتي أعاقت الحياة التجارية والتداول المالي فيهما لأن المعارك بطبيعتها تفقد الأمن والأمان وتنشر نوبات الخوف والهلع بين الناس بالتالي تؤدي الى حدوث شلل في جميع مفاصل الحياة، وغلاء الأسعار وصعوبة المعيشة وقلة الأرزاق.

ثانيا: العوامل الطبيعية

تعرض الحجاز لمجموعة من العوامل الطبيعية التي أثرت عليه بشـــكل أو بآخر على حركته التجارية مثل حصــول الكوارث الطبيعية كانقطاع الامطار والجفاف أو تكوين السـيول أو وقوع الاوبئة والامراض وغيرها ، ففي سـنة (٥٦٧هـ/ ١١٦٧م) حدث بمكة غلاء شـديد بسـبب الجفاف وقلة سقوط الامطار، ثم فرج الله تعالى على الناس بوصـول جلبتين مشـحونتين بالحبوب صدقة من السلطان صلاح الدين الايوبي (الفاسي، د.ت، ج٢/ ص٢٧٠).

كما حدث في سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) بمكة غلاء أشد من الذي قبله اذ أكل فيه الناس الدم والجلود والعظام ومات أكثر الناس بســببه لكن الله فرج عليهم بصــدقات وصــلات الخليفة العباسـي المسـتضـيء بالله لأهل مكة والمجاورين بها (الجزيري، ٢٠٠٢م،ج١/ ص٣٥٨)، وفي نفس السـنة أيضـاً وقع سـيل عظيم كبير في مكة دخل من باب بني شـيبة، ودخل دار الإمارة، وكان السيل شديداً إذ لم ير حسب وصف (عمر بن فهد) سيل مثله (١٩٨٣م، ج٢/ ص٥٣٥).

وقد أصـاب اهل مكة قحط شـديد أضـر بهم وذلك في سـنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) ففرج الله تعالى لهم بجلب سرو اليمن الميرة اليهم وهذه عادتهم في جلب الميرة إلى مكة، فاسـتبشـر الناس بقدومهم استبشاراً كبيراً عوض عنهم نزول المطر(الفاسي، د.ت،ج٢/ ص٢٦٥).

كما أحدثت الامطار الكثيرة التي وقعت في مكة وذلك في سنة (٥٩٠هـ/ ١١٩٣م) سيول كبيرة سال فيها وادي ابراهيم خمس مرات (الجزيري، ٢٠٠٢م، ج١/ص٣٥٨)، وحصل سيل آخر دخل الكعبة المشــرفة وذلك في ســنة (٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) وطاف الناس وهم يعومون (عمر بن فهد،١٩٨٣م، ج٢/ ص٥٦٣).

كما غلت الأسـعار بمكة في سـنة (٦١٤هـ/ ١٢١٧م) وذلك بسـبب القحط وعدم نزول المطر، اذ اسـتمر غلاء سـعر الحبوب مدة شـهرين فقد بيع كل مُد[٦] بدينار ذهب، لذلك عرفت هذه السنة عند الحجازيين بسنة أم لحم(عمر بن فهد، ١٩٨٣م،ج٢/ ص٣٥٣).

ومن الامراض والاوبئة ما أصــاب الطائف من وباء الطاعون وذلك في ســنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) حتى ما بقى فيها ساكن، فمن أصابه الطاعون مات والباقين مهاجرين وقد امتلأت مكة بأهل الطائف، وكان الطاعون اذا أصــابهم وظهرت علامته في أجســامهم فإنهم لا يتجاوزون الخمســة أيام ويموتون، وقد بقيت ديارهم مُفتّحة وســلعهم في الاســواق مطروحة، ودوابهم في مراعيها (الجزيري، ٢٠٠٢م، ج١/ ص٣٦٣)، كما وقع وباء في مكة المكرمة وذلك في ســنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) عندما ســال وادي فخ أربعين مرة، فوقع في الناس الوباء والحمى والموت، ورخص الشــعير ، وحزن الناس وكثر من ثقيف الطغيان والشــرور (الجزيري، ٢٠٠٢م،ج١/

(٦) المدّ: ضرب من المكاييل وهو ربع صاع (هنتس، ١٩٧٠م، ص٧٤) .

ص٣٧١)، ولهذا كان للأمراض التي تفتك بالبشر دورها في توقف عجلة الحياة في المجتمع مما لها أثرها السلبي على الحياة الاقتصادية بكافة جوانبها منها التجارية والمالية.

المبحث الثاني

الضرائب والمكوس

ومن المؤثرات السلبية على الحركة التجارية والمالية هي الضرائب والمكوس التي تعد من الموارد المالية الهامة التي تدخل إلى خزينة أمراء مكة المكرمة وهم أشـــراف الحجاز إلا إنه كان لها تأثير سلبي على حركة التجارة ونشاطها فهي تؤثر سلباً على أعداد الحجاج والتجار القادمين إلى الحجاز بسبب الرسوم والضرائب التي كانت تثقلهم فضلاً عن سوء استحصالها من قبل جباتها (الفاســـي، ١٩٨٦م، ج٧/ ص٢٧٥)، فالمكوس هي عبارة عن الرســـوم التي فرضـــها الفاطميون في الأقاليم التابعة لهم (المقريزي،١٩٩٧م ،ج١/ص١٠٤)، والتي بقي استحصالها في الحجاز خلال العصر الأيوبي، اذ كان اشراف الحجاز يعتبرون المكوس موارد مالية خاصة بهم ولا غنى عنها لأنها تعد مورد الإدارة المالي الرئيسي وذلك لضيق موارد الحجاز(عمر بن فهد ، ١٩٨٣م، ج٢، ص٥٣٨).

وقد كانت المكوس تؤخذ من الحجاج والتجار في عيذاب أو في جدة (المقريزي، ١٩٩٧م،ج١/ص٦٤)، وكان اهل عيذاب يأخذون من الحجاج على كل حمل طعام يحملونه ضريبة معلومة خفيفة المؤونة فضلاً عن المكوس التي كانت مفروضة على الحجاج والتجار (ابن جبير، د.ت، ص٣٨، ٤٥)، وكان مقدار المكس على كل شخص أن يدفع سبعة دنانير ونصف دينار مصرية (الجزيري،٢٠٠٢م،ج١/ص٣٦٠) وكان متحصلوا تلك المكوس يؤشرون أمام اسم من دفع ومن لم يدفع المكس، فمن لم يؤده في عيذاب فسيتم استحصاله بجدة (عمر بن فهد،١٩٨٣م،ج٢/ ص٥٣٨)، أي لا يوجد مفر من عدم دفعها ، فقد كان يُمنع المساكين والفقراء وضعاف الحال الذين لا يستطيعون دفع ذلك المكس من أداء فريضة الحج (أبو شامة، ١٩٩٢م ،ج٢/ ص٤)، ليس هذا فحسب بل كانوا يحتجزون ويعذبون أشد الوان العذاب (الفاسي، د.ت، ج٢/ ص٢٣١) بعد أن قطعوا المسافات والطرق الوعرة والصعبة للوصول إلى الديار المقدسة، فهذا (ابن جبير) يصف أهوال البحر وما قاساه من الخوف والقلق النفسي للوصول الى الحجاز (د.ت، ص٥٠-٥٢)، كما وذكر (أبو شامة) و(ابن كثير) انه في سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) حج القاضي الفاضل وزير السلطان صلاح الدين الايوبي من دمشق وعاد الى مصر بعد أداءه مناســـك الحج وقد ذكروا أنه قد قاســـى في الطريق أهوالاً (١٩٩٢م، ج٢/ ص١٤؛ ١٩٩٠م، ج١٢/ ص٣٠٤).

ويذكر (أبو شامة) عن المكوس في مكة المكرمة إذ قال: ((كان الرسم بمكة ان يؤخذ من حاج المغرب على عدد الرؤوس بما ينسـب الى الضـرائب والمكوس، فإذا دخل حاج حبس حتى يؤدي مكسه ولا يترك، ويفوته الوقفة بعرفة ولا يدرك)) (١٩٩٢م، ج٢/ ص٣).

ومن خلال نص(أبو شـامة) نسـتدل على إن المكوس كانت تؤخذ على دخول الشـخص الواحد دون بضـائعه فهي الأخرى تفرض عليها ضـريبة أخرى ، كما ان (أبو شـامة) كان يقصـد بحجاج المغرب أي القادمين من جهة الغرب عن طريق عيذاب وصـــولاً الى جدة ســـواءً كان القادمين من بلاد المغرب أو من مصر او غيرها من دول أفريقيا.

كما ويصـف (ابن جبير) وهو شـاهد عيان عن طرق جباية المكوس من قبل متحصـليها بأنهم فرق وشـيع لا دين لهم إذ يقول:(قد تفرقوا على مذاهب شـتى وهم يعتقدون في الحاج ما لا يعتقدون في أهل الذمة ، قد صـــيروهم من أعظم غلاتهم التي يســـتغلونها ، ينتهبونهم انتهاباً ويسـبون لاسـتجلاب ما بأيديهم اسـتجلاباً، فالحاج لا يزال معهم في غرامة ومؤونة إلى أن ييسـر الله رجوعه إلى وطنه)(د.ت، ص٤٨)، فكانت تلك المكوس ترهق كاهل الحجاج والتجار القادمين الى بيت الله الحرام وتذل كرامتهم بسبب استحصـالها بطرق مهينة واشدها كان على الفقراء الذين لا يملكون المال الكافي لأدائها.

وفي بعض الاحيان تحصـل مواقف في الحجاز تكون لصـالح الحجاج والتجار وذلك في سنة(٥٧١هـ/١١٧٦م) ، إذ قام أمير الحاج العراقي طاشتكين بمساعدة داود ضد أخيه مكثر وأن يجعله أميراً على مكة وفق شروط أهمها إسقاط جميع المكوس عن الحاج ، وقد أخذ عليه العهود والمواثيق المغلظة بعدم إعادتها، ليس هذا فحسـب بل أن يعمل على مسـاعدة الحجاج والرفق في معاملتهم فأجابه إلى ذلك (عمر بن فهد، ١٩٨٣م، ج٢/ ص٥٣٧).

لكن الحال لم يدم طويلاً اذ رجع مكثراً وتغلب على أخيه داود واستعاد إمرة الحجاز وأعاد المكوس ،بل وتفنن في وسـائل التعذيب لاسـتحصـالها(ابن تغري بردي،١٩٩٢م،ج٦/ص٧٨)، حتى بلغ ذلك السـلطان صـلاح الدين الايوبي والذي أعلمه بالخبر هو الشـيخ ابو عبد الله علوان الأسدي الحلبي الذي حج في عهد الأمير مكثر الحسني وعند وصوله الى جدة جاءه إنسان أسود ومعه ميزان فطولب بالرسـوم المفروضـة من المكس، وهذا ما ذكره (عمر بن فهد) إذ قال: (أدو الحق فقـال لـه علوان : ويلـك مـا الحق؟ فقـال: الحق على كـل رأس ســبعـة دنـانير)(١٩٨٣م،ج٢/ص٥٤٠) فامتنع علوان الأســدي عن الدفع ولطم الرجل على وجهه وقال له زاجراً ويلك أتســمون المظالم حقاً، وهمّ بالرجوع لكن القائمين على ذلك الأمر اســتخدموا معه الّلين ولاطفوه وأرسـلوا إلى الأمير مكثر يخبروه بالأمر فأمر بمسـامحته ،واجتمع مع الأمير مكثر الذي اعتذر له عما بدر من أعوانه وبيّن له حاجة أمراء الحجاز إلى تلك المكوس لاسـتحصـال المال

الذي لولاه لقاسى أهل الحجاز الأمرين، وهذا ما ذكره (تقي الدين الفاسي) إن أمير مكة قال للشيخ علوان: (نحن قوم ضـــعفاء وما لنا إلا هذه الجهة والملوك قد اســـتولوا على البلاد ولا يؤدون لنا شيئاً) (١٩٨٦م،ج٧/ ص٢٧٥).

عند ذلك كتب الشيخ علوان الحلبي رسالة الى السلطان صلاح الدين يخبره عن الوضع الذي شـــاهده وســـمع به وإنه يجب تعويض أمراء مكة بدل المكوس المرهقة للحجاج، فأصـــدر صلاح الدين الايوبي أمره على رفع تلك المكوس وإبطالها عن الحجيج وذلك في سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٧م)(الجزيري،٢٠٠٢م،ج١/ ص٣٦٠) بأن أرسل إلى أمير مكة يرغبه في أن يعوضه عن ذلك المكس بألفي دينار، وألفي إردب قمح تحمل اليه ســنوياً ، فضـــلاً عن إقطاعات أقطعها له بصـــعيد مصـــر واليمن (ابن جبير، د.ت ، ص٤٩) والتي كانت تدر ســنوياً حوالي ثمانية آلاف إردب قمح تحمل إليه كل عام إلى ساحل جدة (المقريزي،١٩٩٧م، ج١/ ص١٧٤).

ويذكر (أبو شامة) إن السلطان صلاح الدين عوض أمير مكة المكرمة بدلا من المكوس مبلغ مالي ما يعادل ثمانمائة إردب قمح (١٩٩٢م، ج٢/ص٣)، أما (ابن كثير) و(ابن تغري بردي) فيذكران أن صـــلاح الدين عوض أمير مكة في كل ســـنة ثمانمائة إردب قمح تحمل إليه ســـنوياً في البحر (١٩٩٠م،ج١٢/ ص٢٩٩؛ ١٩٩٢م، ج٦/ ص٧٨)، ويحمل مثلها لتوزع على سكان الحرمين الشريفين (العماد الأصفهاني،١٩٧٩م، ص١٥٣-١٥٤).

وفي ذلك يصـف (ابن جبير) بقوله : (ولولا ما تلافى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في أمر لا ينادى وليدة ، ولا يلين شديده فإنه رفع ضرائب المكوس عن الحاج وجعل عوض ذلك مالاً وطعاماً يأمر بتوصـيلها إلى مكثر أمير مكة) (د.ت، ص٤٨).

كما يكمل (ابن جبير) عن ذلك قائلاً: (فمحا هذا السلطان هذا الرسم اللعين، ودفع عنه عوضـاً ما يقوم مقامه من أطعمة وسـواها ، وتكفل بتوصـيل جميع ذلك الى الحجاز لان الرسـم المذكور كان باسـم ميرة مكة والمدينة عمرهما الله فعوض عن ذلك اجمل عوض وسـهل السـبيل للحجاج) (د.ت ، ص٣١).

وقد أرسـل الأمير مكثر رسـالة شـكر إلى السـلطان صـلاح الدين على وصـول الغلال والأموال إلى الحجاز فأجابه السلطان بانه سيضـاعف هذه الأحمال كل عام على أن يعم خيرها على كل أبناء الحجاز وهذا ما ذكره (القلقشندي) بقوله: (وصـل كتابك أيها الشـريف واقتضـى ما يعرضـــه أن خرج الأمر بأن يضـــاعف المحمول في كل عام ، ولا يخص به خاص دون عام، وأمرنا ان توفر الســـفن وتوفر الدواب ليحج للحرم الشـــريف بين البر والبحر، وبين حمل البطن والظهر فتظل السـنة ودوداً ولوداً) (١٩١٤م، ج٧/ص١١٠)، فسـر الناس بذلك سـروراً عظيماً ،

وكانت خطوة فعلية نحو تشـــجيع الحج الى بيت الله الحرام وعودة نشـــاط التجار في ممارســـة تجارتهم في هذه البقاع المبارك.

لكن المكوس لم تُلغى تماماً فقد كان أشـــراف مكة المكرمة يعيدون جبايتها بين الحين والآخر متى ما تأخرت المِعونات التي كانت ترد من مصـــر إلى الحجاز، إذ يتراجع الأمير في اتفاقه مع صـــلاح الدين ويقوم باســـتحصـــال المكوس من الحجاج بمختلف الوســـائل اللاإنســـانية وترويع الحاج ، وكان اذا اراد التســـاهل معهم يســـمح لهم بالدخول الى مكة وأداء فريضـــة الحج شرط بان يضمن بعضـهم البعض حتى تأتي المعونة ، فأرسل السلطان صـلاح الدين إلى الأمير مكثر كتاباً يهدده ويتوعده وهذا ما ذكره (تقي الدين الفاســـي) بقوله: ((اعلم أيها الشـــريف انه ما أزال نعمة عن اماكنها وأبرز الهمم عن مكامنها ، وأثار ســـهم النوائب عن كنائنها كالظلم الذي لا يعفو الله عن فاعله ، والجور الذي لا يفرق بين قائله وقابله، فإما رهبت ذلك الحرم الشـــريف وأجللت ذلك المقام المنيف، وإلا قوينا العزائم واطلقنا الشـــكائم وكان الجواب ما تراه لا ما تقرأه)(١٩٨٦م،ج٧/ ص٢٧٨)،وهذا دليل على اهتمام الســـلطان صـــلاح الدين بأمر الحرمين الشـريفين ورعاية أهلها بل ورعاية حجاج بيت الله الحرام وتسـهيل أمورهم لإتمام مناسـكهم ابتغاء مرضاة الله تعالى فاستحق السلطان صلاح الدين لقب خادم الحرمين الشريفين.

وخلال حكم ســـلاطين الدولة الايوبية للحجاز كان امراء مكة الاشـــراف رغم الدعوة المســـتمرة إلى إلغاء المكوس فإنهم لا يتوانون في إعادة جبايتها بين الحين والآخر كلما انقطعت تلك الإمدادات عنهم من مصـــر أو تأخرت أو إذا رأوا إنها قليلة (الفاســـي، ١٩٨٦م،ج٦/ ص٣٤٧)، والدليل على إنها ظلت موجودة خلال عصـر سـيطرة الأيوبيين على الحجاز أن نور الدين عمر بن رسـول سـلطان اليمن عندما دخل مكة سـنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) واسـتولى عليها وأنهى النفوذ الأيوبي بالحجاز بصـورة نهائية، قد قام بإلغاء تلك المكوس وأسـقط سـائر الجبايات والمظالم وكتب بذلك رقعة مربعة وجعلت قبالة الحجر الأسود (الخزرجي، ١٩٩١م، ج١/ ٦٩).

كما لاقى التجار المســـلمين من قبل أشـــراف مكة معاملة تشـــبه معاملة التجار الغير مســـلمين إذ كانوا يأخذون منهم العشـــور على بضـــائعهم بدلاً من الزكاة، وفي ذلك يقول (ابن جبير):((يعشـرون تجار المسـلمين كأنهم أهل ذمة لديهم ويسـتجلبون أموالهم بكل حيلة وسـبب ، ويركبون طرائق من الظلم لم يُســـمع بمثلها)) (د.ت ، ص٥٣)، ويعد هذا الأمر مخالفة حكام الحجاز للشـريعة الإسـلامية التي تنص على أخذ الزكاة منها، واذا اشـترى بثمنها شـيئاً وخرج به وعاد بنظير المبلغ الأول لا يؤخذ منه شـــيء إلا إذا تجاوز العام ولا تؤخذ منه الزكاة إلا اذا خرج وعاد اكثر من اربع مرات في العام (القلقشندي، ١٩١٤م، ج٣/ ص٤٥٧).

فضلاً عن العشور والمكوس فقد كان القادمين من التجار و الحجاج إلى ميناء جدة يلقون اقسى معاملة ومنتهى العنف وكأنهم ليسوا مسلمين إذ كانوا يفتشون الراكب تفتيشاً ذاتياً عما تأبطوه أو احتضنوه كل ذلك باسم الزكاة دون مراعاة لأحد، كما يقومون بتفتيش المراكب تفتيشاً دقيقاً وهذا ما ذكره (ابن جبير) عما رآه بنفسه إذ قال: ((ومن أشنع ما شاهدناه من ذلك خروج شرذمة من مردة اعوان الزكاة في أيديهم المسال الطوال ذوات الأنصبة فيصعدون إلى المراكب استكشافاً لما فيها فلا يتركون عكماً[٧] ولا غرارة[٨] الا ويتخللونها بتلك المسال الملعونة مخافة ان يكون في تلك الغرارة او العكم اللذين لا يحتويان سوى الزاد شيء غيب عليه من بضاعة أو مال ، وهذا أقبح ما يؤثر في الأحاديث المعلنة)) (د.ت، ص٣٥-٣٦).

من ذلك نستنتج ان استحصال الأموال من التجار والحجاج بفرض المكوس والعشور بدل الزكاة وسوء المعاملة في استحصالها ما هو إلا راجع إلى طمع حكام الحجاز في ذلك الوقت وهمهم الأول هو الحصول على المال حتى وإن خالف ذلك ما تنص عليه الشريعة الإسلامية وهذا بالتأكيد سيؤثر سلباً على النشاط التجاري والمالي الا إنّ التجارة لم تتوقف.

وفى الوقت ذاته انه رغم قسوة الوسائل والطرق التي كانت مستعملة من قبل الجباة والمفتشون للبحث عما يخفيه بعض التجار أو الحجاج الا إنهم لم يلجأوا الى ذلك ربما إلا بعد أن اكتشفوا بعض الحالات التي أخفى بها التجار أموالهم في أجسامهم لا تليق بأمثالهم أن يخفوها هرباً من دفع الزكاة التي قررها الشرع، أو الرسوم والضرائب التي كانوا يأخذوها فلا يجب اخفائها لأن ذمة واخلاق المسلم أهم من أمواله ، والادهى والامر من ذلك اذا حلف احدهم وأنكر وهو يخفي غير ما يقر به ، ولو ترك ذلك الأمر للتجار لتعلم الصالح من الفاسد كيف يخفي الاموال والذهب ، ولفسدت الضمائر والذمم ، وضعف الإسلام فكان ذلك ضرورياً لكن ليس بهذه الصورة التي قست في التعامل مع التجار والحجاج انما لردع الفاسدين منهم حتى لا يُصبح ذلك وباءً يستشري في المجتمع.

الخاتمة

أظهرت الدراسة عن موضوع البحث الذي يحمل عنوان (العوامل المؤثرة سلبا على الجانب التجاري والمالي في الحجاز خلال العصر الايوبي (مكة المكرمة والمدينة المنورة أنموذجا) مجموعة من النتائج التالية :

(٧) عكماً: هو ما شدَّ وجمع من ثوب أو سواه، وعكمت المتاع أعكمه عكماً إذا بسطت ثوباً وجمعت فيه متاعاً وشددته فيكون عكمة. (الفراهيدي، د.ت، ج١/ ص٢٠٨).

(٨) غرارة: هي الوعاء. (الفراهيدي، د.ت، ج٣/ ص٢٧٤).

١_ تعرضـــت مكة المكرمة والمدينة المنورة وماحلوهما للعديد من المعارك العســـكرية والتوترات الســـياســـية المتكررة والتي كانت تؤثر بشـــكل ســـلبي على حياة الناس والقادمين اليهما من الحجاج والتجار بعد أن أصبحت مدنهم ساحات قتال مستمرة فالمعارك بطبيعتها تفقد الأمن وتنشر نوبات الخوف والهلع بين الناس بالتالي حدوث شلل في جميع مفاصل الحياة، وغلاء الأسعار وصعوبة المعيشة وقلة الأرزاق والتي أعاقت الحياة التجارية والتداول المالي فيهما .

٢_ كان للعوامل الطبيعية وحصول السيول والأمطار أو حالات القحط والجفاف وحصول الأوبئة والأمراض تأثير سلبي على تبادل السلع التجارية وتوقف عجلة الحياة .

٣_ تعد المكوس من الموارد المالية الهامة التي تدخل إلى خزينة أمراء مكة المكرمة لكن كان لها تأثير سلبي على حركة التجارة ونشاطها فهي تؤثر سلباً على أعداد الحجاج والتجار القادمين إلى الحجاز بسبب الرسوم والضرائب التي كانت تثقلهم فضلاً عن سوء استحصالها من قبل جباتها .

٤_كان للسلطان صلاح الدين الايوبي دور مهم في حماية الحرمين الشريفين من الاعداء، ورعاية وفود حجاج بيت الله الحرام الى مكة المكرمة وذلك بإســـقاط المكوس الغير شـــرعية عنهم وإرضاء أشراف الحجاز بأعطيات عينية ونقدية ، لكن الامراء الاشراف رغم الدعوة المستمرة من قبل ســـلاطين وأمراء الايوبيين إلى إلغاء المكوس فإنهم لا يتوانون في إعادة جبايتها كلما انقطعت تلك الإمدادات أو تأخرت أو إذا رأوا إنها قليلة، والتي أثرت بشكل سلبي على أعداد التجار والحجاج لتخوفهم من القدوم الى مكة المكرمة ودفع تلك المبالغ المالية الغير مشروعة .

قائمة المصادر والمراجع

* ابن الأثير،علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري.(١٩٧٩م). الكامل في التاريخ. (ط١). دار صادر. بيروت.
* بروكلمان، كارل.(١٩٨١م). تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة: نبيه أمين فارس وآخرين .(ط٩). دار العلم للملايين. بيروت .
* البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن محمد الأندلسي.(١٩٤٥م). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تحقيق: مصطفى السقا.(ط١) . القاهرة .
* البير شاندرو.(٢٠٠٨م).صلاح الدين الايوبي البطل الأنقى في الإسلام. ترجمة : سعيد أبو الحسن .(ط١). دار الوثائق. حلب.
* ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي.(١٩٩٢م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تحقيق: محمد حسن.(ط١). دار الكتب العلمية . بيروت.
*ابن جبير ،محمد بن أحمد الاندلسي.(د.ت). رحلة ابن جبير.دار الكتاب اللبناني.بيروت.
* الجزيري، عبد القادر بن محمد الانصاري الحنبلي.(٢٠٠٢م). الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة. تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل.(ط١). دار الكتب العلمية . بيروت .
* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي.(١٩٩٢م). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق: محمد عبد القادر عطا وآخرون.(ط١). دار الكتب العلمية بيروت.
* الخزرجي، علي بن الحسن .(١٩٩١م). العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية. تحقيق: محمد بسيوني عسل.(ط١).مطبعة الهلال . مصر.
* أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي.(١٩٩٢م). عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. تحقيق: أحمد البيومي.(ط١).وزارة الثقافة. دمشق.
* العاصمي، عبد الملك بن حسين الشافعي المكي.(١٩٩٨م). سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون.(ط١). دار الكتب العلمية. بيروت .
* العماد الاصفهاني، أبو عبد الله محمد بن حامد .(١٩٧٩م). سنا البرق الشامي. تحقيق: فتحية النبراوي.(ط١). مكتبة الخانجي. مصر.
* عمر بن فهد، محمد بن محمد القرشي الهاشمي.(١٩٨٣م). اتحاف الورى بأخبار أم القرى. تحقيق: فهيم محمد شلتوت.(ط١). جامعة أم القرى. مكة المكرمة.
* الفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي المالكي. (١٩٨٦م). لعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. تحقيق: محمد حامد الفقي.(ط٢). مؤسسة الرسالة. بيروت.
*الفاسي .(د. ت). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام.(ط١). دار الكتب العلمية. بيروت.
*الفاسي.(٢٠١٣م). تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام. تحقيق: محمود خضير عباس.(ط١). دائرة البحوث والدراسات. بغداد .
* الفراهيدي ،أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد البصري. (د. ت). كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي وآخرين.(ط١). دار ومكتب الهلال. مصر .
* القلقشندي، أبو العباس أحمد بن عبد الله .(١٩١٤م). صبح الاعشى في صناعة الإنشا .(ط١). دار الكتب الخديوية . القاهرة.
*ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر.(١٩٩٠م). البداية والنهاية.(ط٢).مكتبة المعارف. بيروت.

* المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي العبيدي. (١٩٩٧م). السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق: محمد عبد القادر عطا.(ط١) .دار الكتب العلمية . بيروت.
* هنتس، فالتر.(١٩٧٠م) .المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري. ترجمة: كامل العسلي . (ط١). منشورات الجامعة الأردنية . عمان .
* ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم.(١٩٥٧م) . مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق: جمال الدين الشيال. المطبعة الأميرية. القاهرة.
*ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله .(١٩٧٥م) . معجم البلدان.(ط١). دار صادر .بيروت.

Bibliography

Ibn al-Athir, Ali ibn Abi al-Karam Muhammad al-Shaybani al-Jazari. (1979). *Al-Kamil fi al-Tarikh* (The Complete History). (1st ed.). Dar Sader, Beirut.

Brockelmann, Carl. (1981). *History of the Islamic Peoples*. Translated by: Nabih Amin Fares and others. (9th ed.). Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut.

Al-Bakri, Abu Ubayd Allah Abdullah ibn Muhammad al-Andalusi. (1945). *Muʿjam mā istaʿjam min asmāʾ al-bilād wa al-mawāḍiʿ* (Glossary of Obscure Place Names). Edited by: Mustafa al-Saqqa. (1st ed.). Cairo.

Pierre Shandro. (2008). *Saladin: The Purest Hero in Islam*. Translated by: Saeed Abu al-Hasan. (1st ed.). Dar al-Watha'iq, Aleppo.

Ibn Taghribirdi, Jamal al-Din Abu al-Mahasin Yusuf al-Atabaki. (1992). *Al-Nujum al-Zahira fi Muluk Misr wa al-Qahira* (The Shining Stars in the Kings of Egypt and Cairo). Edited by: Muhammad Hasan. (1st ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.

Ibn Jubayr, Muhammad ibn Ahmad al-Andalusi. (n.d.). *The Journey of Ibn Jubayr*. Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut.

Al-Jaziri, Abd al-Qadir ibn Muhammad al-Ansari al-Hanbali. (2002). *Al-Durrar al-Fawa'id al-Munazzama fi Akhbar al-Hajj wa Tariq Makka al-Muʿazzama* (The Organized Pearls of Benefit in the News of the Hajj and the Road to Mecca). Edited by: Muhammad Hasan Muhammad Isma'il. (1st ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.

Ibn al-Jawzi, Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn Ali. (1992). *Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wa al-Umam* (The Ordered History of Kings and Nations). Edited by: Muhammad Abd al-Qadir Atta and others. (1st ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.

Al-Khazraji, Ali ibn al-Hasan. (1991). *Al-ʿUqud al-Luʾluʾiyya fi Tarikh al-Dawla al-Rasuliyya* (The Pearl Necklaces in the History of the Rasulid State). Edited by: Muhammad Basyuni Asal. (1st ed.). Al-Hilal Press, Egypt.

Abu Shama, Shihab al-Din Abd al-Rahman al-Maqdisi. (1992). *Uyūn al-Rawdatayn fi Akhbar al-Dawlatayn al-Nuriyya wa al-Salāḥiyya* (The Eyes of the Two Gardens in the History of the Nuri and Salihi Dynasties). Edited by: Ahmad al-Bayoumi. (1st ed.). Ministry of Culture, Damascus.

Al-ʿAsimi, Abd al-Malik ibn Husayn al-Shafiʿi al-Makki. (1998). *Simṭ al-Nujūm al-ʿAwāli fi Anbāʾ al-Awāʾil wa al-Tawāli* (The String of Lofty Stars in the News of the Ancients and the Successors). Edited by: Adel Ahmad Abd al-Mawjud and others. (1st ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.

Al-Imad al-Isfahani, Abu Abdullah Muhammad ibn Hamed. (1979). *Sana al-Barq al-Shami* (The Flash of the Syrian Lightning). Edited by: Fathiya al-Nabrawi. (1st ed.). Al-Khanji Library, Egypt.

Umar ibn Fahd, Muhammad ibn Muhammad al-Qurashi al-Hashimi. (1983). *Itḥāf al-Warā bi-Akhbār Umm al-Qurā* (Honoring the People with the News of the Mother of Villages [Mecca]). Edited by: Fahim Muhammad Shaltout. (1st ed.). Umm al-Qura University, Mecca.

Al-Fasi, Taqi al-Din Muhammad ibn Ahmad al-Hasani al-Makki al-Maliki. (1986). Al-ʿIqd al-Thamin fi Tarikh al-Balad al-Amin (The Precious Necklace in the History of the Holy City). Edited by Muhammad Hamid al-Fiqi. (2nd ed.). Al-Risalah Foundation, Beirut.

Al-Fasi. (n.d.). Shifaʾ al-Gharam bi-Akhbar al-Balad al-Haram (Healing of Longing with News of the Sacred City). (1st ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.

Al-Fasi. (2013). Tahsil al-Maram min Tarikh al-Balad al-Haram (Attaining the Objective from the History of the Sacred City). Edited by Mahmoud Khudair Abbas. (1st ed.). Department of Research and Studies, Baghdad.

Al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman Khalil ibn Ahmad al-Basri. (n.d.). Kitab al-ʿAyn (The Book of the Letter ʿAyn). Edited by Mahdi al-Makhzumi and others. (1st ed.). Dar wa Maktabat al-Hilal, Egypt.

Al-Qalqashandi, Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd Allah. (1914). Subh al-Aʿsha fi Sinaʿat al-Inshaʾ (The Dawn of the Blind in the Art of Composition). (1st ed.). Dar al-Kutub al-Khidawiyya, Cairo.

Ibn Kathir, Abu al-Fidaʾ Ismail ibn Umar. (1990). Al-Bidaya wa al-Nihaya (The Beginning and the End). (2nd ed.). Maktabat al-Maʿarif, Beirut.

Al-Maqrizi, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Ali al-ʿUbaydi. (1997). Al-Suluk li-Maʿrifat Duwal al-Muluk (The Path to Knowing the States of Kings). Edited by

Muhammad Abd al-Qadir Atta. (1st ed.). Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.

Hinz, Walter. (1970). Islamic Measures and Weights and Their Equivalents in the Metric System. Translated by Kamil al-ʿAsali. (1st ed.). University of Jordan Publications, Amman.

Ibn Wasil, Jamal al-Din Muhammad ibn Salim. (1957). Mufarrij al-Kurub fi Akhbar Bani Ayyub (Reliever of Sorrows in the News of the Ayyubid Dynasty). Edited by Jamal al-Din al-Shayyal. Al-Amiriya Press, Cairo.

Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abd Allah. (1975). Muʿjam al-Buldan (Dictionary of Countries). (1st ed.). Dar Sader, Beirut.